

## بابل وبرجها

### د. فرج بصمه جي

ترى اطلالها اليوم الى جنوب غرب بغداد على نحو من تسعين كيلومتراً منها. وقد سماها البابليون "بابلو" ومعناها باب الاله، بلغت المدينة اوج عظمتها في عشرين من عمرها، اولهما حوالي عام 1700 قبل الميلاد في زمن الملك حمورابي المشرع العظيم، وثانيهما نحو سنة 600 قبل الميلاد في زمن الملك نبوخذ نصر صاحب الجنائن المعلقة والقصور الشامخة

تحرى المنقبون الالمان اطلال مدينة بابل منذ مطلع القرن العشرين حتى بداية الحرب العالمية الاولى، وتتبعوا معالم الحضارة العالمية القديمة فيها وعثروا بين طبقاتها على صنوف الاثار من تماثيل وكتابات ونقوش وكشفوا عن بقايا معابد وقصور فخمة، وما زال بعض بقايا مباني هذه المدينة حتى يومها هذا يؤمه الزائرون والسياح ومن ذلك باب عشتار ذو النقوش البارزة بالاجر البسيط والمزجج واسد بابل وغير ذلك. وصف هير ودوتس المؤرخ اليوناني في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد مدينة بابل وكانت انذاك تحت الحكم الاخميني - الفارسي، وذكر مبانيها العظيمة ومعابدها المزدانة بالنقوش والتماثيل المحلاة بالذهب والفضة واللازورد، واثنى على جناتها المعلقة وهي تعد احدى عجائب الدنيا السبع. ولما زار سترابو الجغرافي اليوناني الشهير مدينة بابل وكان ذلك بعد الميلاد بزمان وجيز وجدها خرائب متداعية وقد هجرها اغلب اهلها حيث تضاعل شأنها وخبا مجدها خلال الحكم الساساني ثم في ايام العرب من بعدهم، وان كان بعض المؤلفين العرب كابن حوقل والقزويني والبكري وابي الغداء قد اشاروا اليها في كتاباتهم. وقد تناولتها الالسن وتناولتها الكتب المقدسة وبحث عنها الرحالة في القرون الوسطى وما بعد ذلك، واقدمهم بنيامين الطليطلي الاندلسي وقد زار هذه البلاد في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد وهم نرس نمرود (بورسيبا) الواقعة غرب الحلة فجعلها بابل لوجود برج شاهق فيها وتابعه في هذا الوهم غير واحد من الرحالة الذين جاؤا من بعده بل ان بعضهم من تل عقرقوف الواقع غرب بغداد بقايا مدينة بابل. وفي سنة 1765 علم نيبور الرحالة الدانماركي ان الخرائب الكائنة في شرق الحلة انما هي بقايا بابل، ثم اخذت البعثات الاوروبية تتوافد الى الشرق للحفر واستخراج الاثار القديمة منه فاصاب بابل كثير من النيبس والتخريب. وقد عنيت بعثة انكليزية برسم بعض معالم المدينة، وفي سنة 1896 نقبت فيها بعثة علمية المانية برئاسة كولدواي فاشتغل فيها حتى سنة 1917 دون ما انقطاع وكشف عن طبقات المدينة وقصورها ومعابدها، ومدينة بابل ذات شكل مستطيل كبير يشقها نهر الفرات من شمالها الغربي الى جنوبها الشرقي، ويحيط بها سوران عظيمان، الاول خارجي طوله نحو 18 كيلومترا، والثاني داخلي وهو مربع الشكل يحدد بمنطقة القصور والمعابد. والقسم الشرقي من المدينة عامر بقصوره ومعابده، اما القسم الغربي فلم يبق من معالمه ما يستحق الذكر وكان يربط بين القسمين جسر حجري، وفي اقصى الشمال الشرقي من المدينة يقع التل المسمى (بابل) وهو اول التلوات التي يراها القادم من بغداد ويعرف البناء المشيد هناك بالقصر الصيفي وقد انشأه الملك نبوخذنصر، وفي جنوب هذا مجموعة من التلوات تقوم على يمين طريق السيارات بين بغداد والحلة ويعرف اهل هذه التلوات بتل القصر وفي ثناياها قصر الملك نبوخذ نصر الجنوبي والشمالى وباب عشتار وبنيات اخرى. وقد اقامت مديرية الاثار العراقية عام 1941 في جنوبي هذا التل قرب باب عشتار متحفا صغيرا يدل الزائرين على اهم ما في اطلال بابل من ابنية ومعابد وقد عرض في هذا المتحف بعض الخرائط والمخططات والتصاوير التي تمثل مختلف اطوار الحفريات في المدينة، ونماذج مصغرة من الخشب والجبس لباب عشتار وشارع الموكب ومعبد "ايسا كيلا" وضرحه المدرج. كان باب عشتار احد ابواب السور الداخلي في بابل، وهو يفضي الى وسط المدينة من جهتها الشمالية. ويمر بباب عشتار شارع الموكب وهو شارع مستقيم يمتد من شمال المدينة عند جانب النهر حيث بيت الولايم (بيت اكيوتو) الى جنوبها نحو المعبد الرئيسي المسمى (ايسا كيلا) المقام للاله الاعظم مردوك، وطوله اكثر من كيلومتر ثم ينعطف بزواية قائمة نحو الغرب حتى يصل الى النهر، وهناك جسر حجري، وهذا الشارع مبلط بالاجر والقيبر وعلى جانبيه جدار تعلوه ابراج بين مسافة واخرى وهو مبني بالاجر وقد زينت واجهته باجر مزجج وصورت بصور بارزة تمثل ثلاثة انواع متتابعة من الحيوانات وهي: (1) الحيوان الخرافي (التنين) وهو رمز الاله مردوك وهو حيوان له حراشف السمك وأس تنين وذيل حية وارجله الامامية كأرجل الاسد الخلفية ذات مخالب عقاب. (2) الثورة وهو حيوان اله الرعد "داداد". (3) الاسد وهو الحيوان الخاص بالالهة عشتار (وفي المتحف العراقي ثلاثة منحوتات تمثل هذه الحيوانات). وكذلك كانت واجهات باب عشتار وجوانبه الداخلية مزينة بأجر

مزجج وبصور الحيوانات النانئة ايضا. وقد اشترك في بناء هذا الباب عدة ملوك اشوريين وبابلين اشهرهم نبوخذنصر الذي رفع مستوى الشارع القديم فوق الاسس القديمة للباب وبنى بناية جديدة بالاجر المزجج فصار منظرها من اجمل ما تقع عليه العين في المدينة. ولكن اعلى هذه البناية وهو المزجج قد خرب واسفا ونقلت البعثة الالمانية ما تبقى منه الى برلين وما يراه الزائر اليوم انما هو القسم الاسفل من البناية المبني بالاجر غير المزجج وهو يعود الى ما قبل زمن نبوخذنصر كما انه يشاهد عدة طبقات لشارع الموكب وهي مفروشة بالاجر والقيصر. وفي غرب باب عشتار قصر نبوخذنصر، وتشاهد حتى اليوم بقايا القصر الشمالي ويسمى ايضا بالقصر الرئيسي مسكن الملك وحاشيته، وعثرت البعثة الالمانية في احد جوانبه على آثار متفرقة بعضها غريب الشكل كأسد بابل الشهير وهو تمثال من حجر البازلت الاسود - او الديوريت الخشن، بهيئة اسد رابض على جسم انسان قد يكون امرأة والتمثال غير كامل الصنع وهو غريب في صناعته وقد يمت الى التماثيل الحثية بصلة. ومن المعروف ان الملك نبوخذنصر قد غنم في فتوحاته الواسعة للاقطار المجاورة غنائم كثيرة ونقل ما وقع بيده من مواد ثمينة غريبة جاء بها الى بابل وضعها في قصره فاضحت كمتحف خاص به فلا يستبعد ان يكون هذا الاسد من جملة تلك الغنائم وقد يقال ان هذا التمثال من الصناعة المحلية ويمثل اسد الالهة عشتار كما تراه في نقوش باب عشتار وشارع الموكب. ويشاهد الزائر غرب القصر الرئيسي بقايا جدران من الاجر هي اطلال ما يسمى بالقلعة او هي مسناة كانت على نهر الفرات قبل ان يبتعد غربا نحو كيلومترين، وفي جنوبي القصر الرئيسي يقع السور الداخلي وكان مبنياً "باللبن" ومغلفاً بالاجر ويرى اليوم موضعه فقط، ويقع جنوب ذلك القصر الجنوبي وهو المقر الرسمي للملك وفيه قاعة العرش ومجلس الدولة وكان هذا القصر الفسيح يتكون من خمس ساحات واسعة يحيط بكل منها حجرات وقاعات ومرافق اخرى. وفي القسم الجنوبي الغربي منه ساحة الاستقبال ومساحتها 60×55 متراً وفي جنوبها قاعة العرش ومساحتها 15 × 42 متراً كانت وجهتها المطلة على الغناء مزينة بأجر مزجج وملون ومزدانة بنقوش بديعة، وفي القاعة شاهد بيلشاصر آخر ملوك بابل في احدى الحفلات يدا تكتب على الجدار حسب ما ورد في سفر دانيال، وفي وسع الزائر اليوم السير على ارض ساحات هذا القصر وهي مفروشة بالبلاط المربع الكبير الحجم وبالقيم ومن السهل التفريق بين الجدران - وقد رفع اجر اكثرها - وبين القاعات والساحات ، وفي الركن الشمالي الشرقي من هذا القصر يشاهد اليوم بقايا بناية غريبة تتالف من سبع حجرات متوازية يقابلها سبع اخرى بينهما ممر وبجانبها بئر وربما كان فوقها قباب تعلوها قباب اخرى وهكذا تدرج . وما هذه البناية الا بقايا الجنائن المعلقة على ما يظن وقد انشأها نبوخذنصر لزوجته الماذية الفارسية من سكان شمالي ايران. ومن النماذج الجبسية المعروضة في متحف بابل نموذج المعبد الاعظم المسمى (ايسا كيلا) ومعناه (البيت الرفيع) وهو مخصص لعبادة "مردوخ" اعظم الالهة البابلية ويقع هذا المعبد في القسم الجنوبي من المدينة في نهاية شارع الموكب بعد ان ينعطف نحو الغرب فيفصل بين هذا المعبد والبرج المدرج الواقع الى الشمال منه والمسمى (اينتيمالنكي) ومعناه (بيت اساس الشمال والارض).

فللمعبد بناية واسعة جدا تتكون من عدة حجرات مقدسة محاطة بفناء واسع ومحيط بالبناء حجرات عديدة جداً كانت تتخذ مخازن للمعبد ومساكن لسدنته ورجال الدين. اما البرج فهو صرح مدرج يعرف بالبابلية بالزقورة يتكون من كتلة صلدة من اللبن المغلف بالاجر وهو مربع القاعدة طول ضلعها اكثر من تسعين متراً وارتفاع الزقورة نحو تسعين متراً ايضا واشتهرت هذه الزقورة بانها برج بابل الشهير وقوامها عدة مصاطب الواحدة تعلو الاخرى وتتصاغر حجماً كلما ارتفعت وفي أعلاها بناية صغيرة للمعبد العلوي حيث يقوم تمثال الاله الاعظم. وقد ذكر هير دوتس المؤرخ اليوناني ان هذا التمثال كان ذا حجم طبيعي معمول من الذهب الابريز. وفي هذا المعبد العلوي كانت تقام حفلات رأس السنة الرسمية وقد بالغ هذا المؤرخ في وصفها. ولكن لا اثر اليوم قط للزقورة والمعبد لان اجرهما نقل في الازمنة المتاخرة واستعمل في مباني مدينة الحلة وما جاورها. وهناك بنايات اخرى متفرقة في مدينة بابل من ذلك الملعب اليوناني الذي شيد في زمن الاسكندر الكبير، وتشاهد اليوم حفرة فقط شرق عشتار وكان بهيئة مدرج نصف دائري (امفيثيتر) وفي جنوب الملعب بقايا معبد صغير كان قد شيد للالهة ننماخ. اما في جنوب عشتار على نحو كيلومتر فتقع بيوت السكنى لمختلف ادوار المدينة وفي اقصى جنوبي بابل بقايا معابد اخرى مختلفة